

منذ نعومة أظفارهم أدب الأطفال العربى الحديث فى القرن العشرين

عرض:

د. يسرية زايد

استاذ مساعد بقسم المكتبات والوثائق والمعلومات
آداب القاهرة

تقديم

تزايد الاهتمام بالطفولة والأطفال تزايداً شديداً خلال العقدين الأخيرين، ومن ثم كثرت الدراسات والمؤلفات التى تتناول الأطفال ونموهم وتربيتهم وتنشئتهم... الخ. كما زادت أيضاً المؤلفات والكتابات التى تتناول «أدب الأطفال» كموضوع أو مفردات بالدراسة والتحليل الكمى والنوعى بهدف الخروج بمؤشرات معينة لتحسينه وتقويمه.

والكتاب الذى نعرضه اليوم هو واحد من الكتب التى تقدم دراسة تحليلية لـ «كتب الأطفال» المنشورة باللغة العربية من خلال ما أصدرته ثلاث من أكبر دور نشر كتب الأطفال فى مصر. وهى: دار كامل الكيلانى، ودار المعارف، ودار الفتى العربى (فرع القاهرة).

ومؤلفة هذا الكتاب هى د. تغريد القدسى الحاصلة على دكتوراه فى علوم المكتبات والمعلومات من جامعة أوستن/ تكساس عام ١٩٨٨، ومجال تخصصها الاساسى. هو مراكز معلومات الأطفال والناشئة، وفلسفة تدريس المكتبات. وتعمل المؤلفة

حالياً كعضو هيئة تدريس فى جامعة الكويت - كلية الدراسات العليا، كما تتولى منصب منسقة مشروع «الكتاب الشهرى للطفل» الذى تشرف عليه وتتولى نشر ما يصدر عنه من أعمال «الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية» وهى الهيئة الناشرة للعمل الذى بين أيدينا أيضاً.

وبداية يقع هذا الكتاب فى ستة فصول وخاتمة ويتناول «أدب الأطفال العربى الحديث فى القرن العشرين»، راسماً، كما حددت المؤلفة فى فصله الأول، حدوداً لهذا المجال يمكن وصفها على النحو التالى:

الحدود الشكلية: أدب الأطفال العربى، واقتصرت المؤلفة على الكتب دون الاشكال الأخرى.

الحدود الزمنية: الفترة فيما بين ١٩١٢ - ١٩٨٦، وعلى الرغم من أن المؤلفة لم تذكر سبباً لبدء، أو سبباً لاختيار عام ١٩١٢ كبتداية، إلا أنه، وكما اتضح من قراءة الفصول، أن هذا التاريخ هو تاريخ نشر السلسلة الأولى للأطفال التى قامت باصدارها دار المعارف.

(*) تغريد محمد القدسى. منذ نعومة أظفارهم: أدب الأطفال العربى الحديث فى القرن العشرين. - الكويت: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة، ١٩٩٢. - ١٦٧ ص. ٢٢ سم. - (سلسلة الدراسات العلمية الموسمية المتخصصة: ١٨).

الحدود الكمية: عينة مكونة من ٣٥٠ كتاب.
الحدود النوعية: كتب الأطفال الصادرة عن «دار كامل الكيلاني» و«دار المعارف»، و«دار الفتى العربي».

الحدود الموضوعية: حددت المؤلفة لنفسها ما اطلقت عليه «فئات موضوعية» تم اختيارها لاغراض التحليل المضموني الكمي، وهذه الفئات هي:-

١ - كتب المفاهيم: ابجديات، أعداد، ألوان، اشكال، واحجام.

٢ - كتب الشعر المتناغم، وكتب ما قبل المدرسة.

٣ - موضوعات انسانية واجتماعية: العائلة، والدولة، والتراث.

٤ - موضوعات صراع وخلاف: السياسة، والحرب، والسيطرة الأجنبية.

٥ - قصص حضارات وشعوب أخرى: كتب مترجمة، قصص من لغات أخرى، أدب عالمي.

٦ - كتب الترفيه والتسلية: نكت، احجيات، دعابة، تسلية، سمر، غموض، ترحال، هوايات، حرف، رياضة والالعاب.

٧ - جغرافيا وتاريخ العالم.

٨ - العلوم: الفيزياء، الفضاء، التكنولوجيا، والهندسة.

وليس لى بالطبع أن اتدخل، أو أبدى رأيي في هذه «الفئات الموضوعية» حيث أنها قد تم عرضها على «سبعة اشخاص خبراء في أدب الأطفال و/ أو خبراء ذوى علم ودراية بالثقافة العربية، وقد ارسل ستة خبراء برودهم الايجابية».

قامت المؤلفة بتحليل الكتب موضع الدراسة على مستويين:-

الأول: المستوى العام الذى يضم كل الفئات

السابق الاشارة اليها.

الثانى: المستوى العميق الذى اقتصر على فئتين موضوعيتين فقط هما: فئة «الموضوعات الانسانية والاجتماعية» والتي تضم بداخلها: العائلة، والدولة، والتراث، وفئة موضوعات «الصراع والخلاف» التي تضم بداخلها السياسة والحرب والسيطرة الأجنبية. وقد قامت المؤلفة بتحديد فروع أخرى داخل كل فئة فرعية على النحو التالى:

أولاً: الموضوعات الانسانية والاجتماعية:
العائلة: أ. ممتدة ومتجانسة ب. صغيرة ومتجانسة ج. صغيرة ومتصارعة د. غير عادية هـ. أخرى.

الدولة: أ. سلطوية ب. خاضعة للدين ج. بعيدة د. دولة اشتراكية هـ. ديمقراطية و. أخرى.

التراث: أ. الاسلام ب. المسيحية ج. اليهودية. د. القيم الحضارية هـ. الحضارة الاسلامية و. أخرى.

ثانياً: موضوعات الصراع والخلاف

السياسة: أ. قومية عربية ب. الوطنية الاقليمية ج. الصراع العربى الاسرائيلى د. الصحوة الاسلامية هـ. أخرى.

الحرب: أ. مجازية ب. مبسطة ج. مقدسة د. واقعية هـ. أخرى.

السيطرة الاجنبية: أ. الاستعمار ب. الاستعمار الحديث ج. سيطرة اجنبية مجردة د. الاحتلال لاراضى عربية هـ. أخرى.

أما الفصل الثانى من هذا الكتاب فقد خصصته المؤلفة للعرض التاريخى لصناعة الكتب والنشر فى الدول العربية وخاصة مصر وذلك منذ بداية الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨، ولظهور المطبعة المصرية الأولى «مطبعة بولاق».

(١) نظم التصنيف الحديثة فى المكتبات: أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية/ تأليف ج. ملز، ترجمة عبد الوهاب أبو النور.

كما تناول الفصل أيضاً عرضاً للدراسة التاريخية لأدب الأطفال وذلك بتقديم تقدير كمي لعدد الرسائل والاطروحات التي تناولت هذا الموضوع والتي بلغت ٥٠٠ رسالة، كما اشارت المؤلفة أيضاً للمتاهج والطرق المتبعة في هذه الدراسات، وركزت على أن الدراسات التي تتناول تحليل المضمون أو المحتوى محدودة نسبياً.

وثمة نقطة أخرى تناولها هذا الفصل، وتتصل بالتطور التاريخي لأدب الأطفال بداية من ظهور أول مطبعة في إنجلترا عام ١٤٧٦، وحتى السبعينات من القرن العشرين، وقد تناول هذا العرض السريع (٤ صفحات) تطور عملية نشر أدب الأطفال واشكاله المختلفة. واختتمت المؤلفة هذا الفصل بالحديث عن «صناعة الكتب والنشر في مصر» منذ انشاء مطبعة بولاق عام ١٨٢١ أبان عهد محمد علي، ثم ظهور المطابع الأخرى في مصر خلال العقود التالية وكان الهدف الاساسي من هذا العرض السريع أيضاً بيان ريادة «دار المعارف» المصرية في مجال النشر بصفة عامة ونشر كتب الأطفال بصفة خاصة.

وتبدأ الدراسة الحقيقية للمؤلفة مع الفصل الثالث الذي اختارت له عنوان «كامل كيلاني يرسى دعائم الكتابة للأطفال» والذي بدأته بالحديث عن كامل كيلاني ونشأته وصفاته والعوامل التي اثرت في اتجاهه نحو الاهتمام بأدب الأطفال، والمعلومات الواردة في هذه الجزئية من الفصل مستقاة من إبنه «رشاد الكيلاني» وذلك من خلال لقاءات المؤلفة معه.

أما الجزء الثاني من هذا الفصل فقد خصص لتحليل محتوى كتب «كامل كيلاني» وذلك من خلال فحص ستين كتاباً (تمثل ١٧،١٤٪ من مجموعة العينة المختارة).

وقد خرجت المؤلفة من هذا التحليل بأن مجموعة الكتب التي تم فحصها -

١ - لا تحوى أى كتب فى الفئات الموضوعية:

المفاهيم، كتب الشعر المتناغم وكتب ما قبل المدرسة، تاريخ وجغرافية العالم.

٢ - تشكل كتب الترفيه والتسلية ٢٠٪ من المجموعة، وكتب قصص الحضارات والشعوب الأخرى ١٥٪.

٣ - تقع معظم كتب مجموعة كيلاني فى فئة الموضوعات الاجتماعية والانسانية ٦٧،٦١٪ ثم تناولت المؤلفة هذه المجموعة مرة أخرى «بالتحليل العميق فى فئتين موضوعيتين فقط هما: فئة موضوعات انسانية واجتماعية، وفئة موضوعات صراع وخلاف مع اعطاء النسب المئوية الخاصة بكل فئة رئيسية وتفرعات الثانوية فى جداول متصلة.

ويجئ الفصل الرابع من هذا الكتاب متناولاً «نشأة دار المعارف» التي تأسست عام ١٨٩٠م على يد «نجيب مترى» باسم «مطبعة المعارف ومكتبتها» وتحكى المؤلفة تطور نشأة الدار وإصدارتها فى حقل الكتاب للطفل حيث تشير المؤلفة إلى أن دار المعارف «استحقت الريادة فى مجال الكتابة للأطفال لانها هى التى اصدرت فى عام ١٩١٢ سلسلتها الأولى للأطفال والمحتوية على أربعة كتب هى: القظيطات العزاز - البنات الحمري - زوزو وفوفو - عند الفلاحين».

وكما هو الحال فى الفصل السابق فقد تناولت المؤلفة تحليل محتوى كتب دار المعارف، والتي تم فيها فحص مائة وخمسة وستين كتاباً (شكلت ٤٧،١٤٪ من المجموع الكلى للعينة المدروسة).

وقد خرجت المؤلفة من الفحص بما يلى:-

١ - لا تحوى العينة أى كتب فى فئة الشعر المتناغم وكتب ما قبل المدرسة.

٢ - اكبر الفئات الموضوعية التى تقع بها كتب دار المعارف هى الموضوعات الانسانية والاجتماعية وفئة قصص وحضارات وشعوب أخرى.

٣ - تتساوى فئة موضوعات العلوم وفئة كتب التسلية والمرح في مجموعة دار المعارف من حيث العدد.

ثم عقدت المؤلفة مقارنة بين مجموعة كامل كيلانتي، ومجموعة دار المعارف في الفئات الموضوعية المحددة. واختتم الفصل بالتحليل العميق لمجموعة دار المعارف في فئتي الموضوعات الانسانية والاجتماعية والصراع والخلاف.

خصص الفصل الخامس من هذا الكتاب عن «ار الفتى العربى» حيث قامت المؤلفة بالتعريف بالدار ونشأتها التي جاءت فى وثيقة عرفت باسم الفلسفة التعليمية للفلسطينيين العرب والتي تضمنت توصية بانشاء وتأسيس دار نشر مستقلة للأطفال تتجسد فيها المبادئ التي احتوتها وثيقة فلسفة التعليم من خلال ما تنشره هذه الدار للأطفال. وبهذا ولدت فكرة تأسيس دار الفتى العربى كدار نشر مستقلة، ولقد تم فتح مكتبين لها أحدهما فى بيروت، والأخر فى القاهرة ولكن بعد أحداث عام ١٩٨٢ (الغزو الاسرائيلى للبنان) أصبح فرع القاهرة هو مركز النشاط الرئيسى لدار الفتى العربى.

تناولت المؤلفة تحليلاً لمائة وخمسة وعشرين عنواناً مما أصدرته دار الفتى العربى (ويشكل ذلك نسبة ٣٧:٧١٪ من المجموع الكلى لعينة الدراسة). وقد أسفرت النظرة العامة إلى مجموعة دار الفتى العربى عن نفس النتائج تقريباً التي توصلت إليها المؤلفة من خلال دراساتها لمجموعة الكيلانتي، ودار المعارف من حيث عدم احتواء المجموعة على أى كتب فى فئة «الشعر المتناغم وكتب ما قبل الدراسة»، وأن الفئة الغالبة لهذه الدار هى فى فئة «التاريخ والجغرافيا» ٨٠٪.

كذلك اختتم الفصل أيضاً بالتحليل العميق لمجموعة دار الفتى العربى فى فئتي الموضوعات

الانسانية والاجتماعية، والصراع والخلاف وأعقبته بجداول منفصلة للنتائج، وقد ذيل هذا الفصل بمجموعة من الجداول التي تعقد مقارنات بين مجموعات العينة فى دور النشر الثلاث.

أما الفصل السادس والأخير من هذا الكتاب فدار حول «موضوعات أدب الأطفال العربى» حيث حاول هذا الفصل وضع النتائج الرقمية لتحليل المضمون الذى تم عرضه فى الفصول الثلاثة السابقة (الثالث والرابع والخامس)، أى أن هذا الفصل يحوى نتائج الدراسة التي توصلت اليها المؤلفة مع محاولة ربطها بالتطور الذى طرأ على كتب الأطفال العربى المنشورة وذلك بالاستنباط من الأرقام والنسب التي تم حصرها.

ويتهى الكتاب بـ «الخاتمة» التي تم فيها تقديم مقترحات وتوصيات لدراسات أخرى فى المستقبل.

ذيل الكتاب بمجموعة من الملاحق هى :

الأول : قائمة بالكتب التي تم تحليلها.

الثانى : جدول المقابلات.

الثالث : دعوة إلى كتاب ورسامى أدب الأطفال فى العالم العربى للمشاركة فى مشروع الكتاب الشهرى للطفل.

وبعد... فإذا كانت الكتابات التي تناولت أدب الأطفال كموضوع كثيرة ومتنوعة فى موضوعاتها (الأصول والمفاهيم، الشروط، المبادئ، المحنة، أوجه اختلافه عن أدب الكبار).

فإن الكتابات الأكثر أهمية فى الموضوع هى تلك المؤلفات التي تتناول هذا الأدب بالتحليل والتقييم، وهذه الدراسات محدودة نسبياً رغم مالها من فائدة لاتخفى على أحد، حيث يستفاد من نتائجها فى تقويم مسار نشر هذا الأدب.

ويأتى هذا الكتاب ليتناول دراسة تطبيقية تحليلية لبعض من هذا الإنتاج.